المحاضرة رقم3

مصادر المدارس النحوية

تمهيد:

إن الأساس الذي انطلق منه علماء اللغة الأوائل، جعل من النحو العربي سيد علوم اللغة وعمادها، ذلك أنه أصل متين ولبنة ثابتة استطاع من خلالها علماؤنا تجريد قواعد وأحكام نحوية تصون اللغة العربية وتحفظها على مدار الزمن، إن هذه الأصول التي اعتمد علمائنا وتشبثوا بها وجعلوها منطلقا لهم في عملهم الضخم هذا، كانت ولا تزال المصدر الأساسي الذي نعود اليه ونحتج به، ونستشهد به، ونحن نتداول اللغة العربية مشافهة.

فكان القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعره ونثره مصادر الدراسة النحوية القديمة مدونة علماء اللغة التي مهدت لبلوغ حضارة لغوية تفوق ما صنعه غيرهم من الأمم.

1- القرآن الكريم وقراءته:

هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ الفصيح و المنقول إلينا بالتواتر والمجمع على قراءته بالطرق التي وصلتنا، ولقد أجمع العلماء على ضبطها و تحريرها متنا وسندا، واتفقوا على الاحتجاج به [1]، فالله أنزله بلغة العرب يقول عز وجل : ﴿ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم﴾[2]، ولما نزل القرآن الكريم بالعربية وحد لهجاتها ورفع قيمتها بين الأمم، وأقبل عليها من ليس من أبنائها تعلما وخدمة، وخير دليل أعلام العربية من ليسوا بعرب مثل يونس، سيبويه، الأخفش، الكسائي، الفرّاء، ابن حنفي وغيرهم.

و النحو العربي نشأ في أحضان القرآن الكريم فاستنبط النحاة من قواعده وقوانينه النحوية، لذا أجمع النحاة على أن القرآن أفصح كلام عربي وأنه في المكانة العليا من البلاغة.

ولإثبات دعوة فصاحة القرآن التي لا تدانيها فصاحة وبلاغة التي لا تسموا اليها علاقة نورد بعض الأقوال تثبت فصاحته و بلاغته:

يقول ابن خلويه في شرح الفصيح: «قد أجمع الناس جميعا على أن اللغة العربية اذا وردت في قراءة القرآن فهي أفصح منها في غير القرآن لا خلاف في ذلك »[3]

و يقول السيوطي في الاقتراح :«كل ما ورد أن القرآن قرئ به جاز الاحتجاج به سواء كان متواترا أم آحادا ام شاذا»[4]

---

[1] محمد خان : أصول النحو العربي، مطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة، ط1 /2012، ص 32

[2] سورة ابراهيم : الآية 04

[3] جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة و أنواعها، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج 1، ص 213

[4] السيوطي : الاقتراح في اصول النحو، ضبطه و علق عليه عبد الحكيم عطية، دار البيروني، ط 2 ،2006، ص 39

و قال البغدادي في خزانة الأدب :«كلامه عز وجل أفصل كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره و شاذه كما بينه "ابن جنى" في أول كتابه المحتسب وأجاد القول».[1]

القراءات القرآنية:

تعريفها: يعرفها ابن الجوزي بقوله: «إن القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها معزو لناقله»[2].

الفرق بين القرآن و القراءة:

يقول الزركشي في كتابه البرهان «أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للبيان و الاعجاز أما القراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف و كيفيتها، من تخفيف و تثقيل و غيرها »[3]، فالقراءات هي طريقة الأداء النطقي لألفاظ القرآن ولا بد فيها من المشافهة والتلقي، والقرآن يعد أصلا والقراءة فرعا.

وشروط القراءة ثلاثة:

1- صحة السند

2- موافقة الرسم العثماني

3- موافقة العربية ولو بوجه من الوجوه.[4]

---

[1] البغدادي : خزانة الادب، ج1، ص 9

[2] ابن الجوزي: منجد المقرئين، اعتنى به علي بن محمد العمران، ط، دت، ص 49

[3] بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ط، دت، ص222، 223

[4] محمد خان، أصول النحو العربي، ص33

إن القراءات القرآنية التي ضبطها العلماء مروية عن الصحابة و التابعين، وهم ممن يحتج بكلامهم كأبي عمرو بن العلاء(ت154هـ) و الكسائي (ت 189هـ) و يعقوب الحضري (ت 205 هـ)

و القراءات الشاذة لا يقدح في الاحتجاج بها في اللغة، فمخالفة الرسم العثماني بزيادة كلمة أو نقص لا تؤثر في صحة بناء القواعد عليها[1]

2- الحديث النبوي الشريف:

الحديث النبوي الشريف أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أمر به أن يكتب كرسائله الى ملوك الأرض في عصره، أو كعهود ومواثيق بينه وبين خصومه من العرب، وقد أجمع العلماء على ان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة[2] وأن أقواله حجة في اللغة اذا ثبت أنا لفظ النبي نفسه، ولا يتقدمه في باب الاحتجاج الا القرآن[3]، اذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بيانا أبلغ من الكلام النبوي ولا أروع تأثيرا ولا أفعل في النفس ولا أصح لفظا بعد القرآن الكريم، ولكن ذلك لم يقع كما ينبغي لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار خاصة[4].

و أنقسم اللغويون في موقفهم من الاحتجاج بالحديث الى فريقين:

أولا – فريق المانعين[5] :

وذلك أن العلماء لم يثقوا بأن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا لأمرين:

---

[1] محمد خان، أصول النحو العربي، ص 34

[2] المرجع نفسه، ص 34

[3] المرجع نفسه، ص 34

[4] سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ص 46

[5] سعيد الأفغاني : في أصول النحو ، ص 48

1- أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى فنجد قصة واحدة قد جرت في زمانه عليه الصلاة والسلام فتنقل بألفاظ مختلفة.

2- أنه وقع كثير من اللحن فيما يورى من الحديث؛ لأن كثيرا من الرواة كانوا من غير العرب، ولا يفقهون بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم.

ثانيا- فريق المجيزين:

أغلب من جوز الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف هم من اللغويين و أصحاب المعاجم، إذ كان هدفهم المعنى ، وظهر الحديث في كتب اللغة بشكل كبير وعلى رأس المجيزين بن مالك، وابن هشام و أجمع هؤلاء على انه عليه الصلاة والسلام من افصح العرب لهجة.

وذهب المعاصرون الى جعل الحديث النبوي موردا بعد القرآن الكريم للاحتجاج به.[1]

3- كلام العرب شعره ونثره:

كلام العرب مصدر أساسي اعتمد عليه النحاة في تقعيدهم لعلم النحو، ويشمل الكلام الشعر و النثر من أمثال وحكم ، وقد اعتمدوا على نقله بالرواية.

ففيه أخبارهم وأيامهم وأفراحهم فكان لكل شاعر رواية، ولكن مع تداخل الزمن دخله شيء من النسيان وضاع منه الكثير، قال عمرو بن العلاء (ت154هـ) : «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا قليله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم و شعر كثير»[2]

و إذا كان النحاة قد استخدموا الشعر شواهد لقواعدهم فإنهم قد اشترطوا في قبوله أن يكون:[3]

[1] محمد خان: أصول النحو العربي، ص 39

[2] ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ص 24

[3] محمد خان ، أصول النحو العربي، ص 42

- منتميا إلى عصر الفصاحة الذي يمتد من زمن الشاعر المهلهل (ت 525 م) إلى الشاعر إبراهيم بن هرمة (ت 176 هـ).
- معلوم القائل.
- مطردًا.

و اقتصر العلماء على تدوين كلام القبائل الضاربين في وسط الجزيرة العربية كأسد و قيس وتميم و هذيل[1] ، وكنانة، وطيء.

تعد هذه أهم المصادر التي تأسست عليها المدارس النحوية البصرية، والكوفية، والبغدادية، والأندلسية، المصرية، ومدرسة الشام، وبما أن البصرة هي أول من وضع أصول وقواعد هذا العلم وهو العربية، فالأكيد أنها تحرت الدقة في التعامل مع هذه المصادر.

[1] سعيد الافغاني: في اصول النحو، ص 59